موقف حركة البعث العربي من التطورات السياسية في سوريا والوطن العربي ١٩٤٠-١٩٤٦

د. سمير عبد الوهاب عبد الكريم
كلية طب الأسنان – جامعة بغداد

المقدمـــة

تكتسب دراسة الأحزاب السياسية بشكل عام ، والاحـــزاب ذات الأهـــداف الاشتراكية القومية التقدمية ، أهمية كبيرة في تأريخنا المعاصر . لاسيما ان بعض تلك الاحزاب والحركات كان لها قبيل تكوينها الرسمي ، مواقف صريحـــة مـــن مجمل التطورات التي شهدها الوطن العربي .

ومن هذا المنطلق ، تم أختياري لموضوع "موقف حركة البعث العربي من التطورات السياسية في سوريا والوطن العربي ١٩٤٠-١٩٤٦" عنواناً للبحـــث ، لما لحزب البعث العربي الاشتراكي من مكانة كبيرة في نضال امتنا العربية مـــن أجل بلوغ أهدافها المقدسة في الوحدة والحرية والاشتراكية .

تضمنت الدراسة عدد من النقاط مثل الخطوات الأولى لنشوء حركة البعث العربي ، ومواقف الحركة من الأنتداب الفرنسي ، وانتفاضـــة نيســـان – مـــايس ١٩٤١ في العراق ، وما أتخذته من إجراءات لدعم نضال الشعب العراقي ، وهـــو يكافح من أجل نيل استقلاله ، فضلا عن مواقفها من التطورات السياسية الداخليـــة في سوريا ولبنان قبيل حصولهما على الاستقلال ، كذلك تطرقت الدراســـة الـــى موقف حركة البعث العربي من تأسيس الجامعة العربية (آذار ١٩٤٥) . والقضيـــة الفلسطينية ، ونضال الشعب العربي المصري ضد السلطات البريطانية ، وتنـــاولت الدراسة بالبحث موقف الحركة من قضايا المغرب العربي وهو يرزح تحت نـــير الأحتلال الفرنسي .

أعتمد البحث على العديد من المصادر التي عالجت الموضوع من زوايا مختلفة مثل مكاتب وليد المعلم (سورية ١٩١٨-١٩٥٨) ، وهو عبارة عن عرض تأريخي قيم عن نضال الشعب العربي السوري خلال تلك الفترة . وكتاب جلال السيد (حزب البعث العربي) الذي هو عبارة عن رؤية خاصة للمؤلف عن نشوء البعث ومواقفه الفكرية والسياسية كون المؤلف أحد أركان الحزب عند فترة تأسيسه، كذلك كتاب باتريك سيل (الصراع على سورية) وهو دراسة تحليلية قيمة عالجت التطور السياسي في سورية ، رغم أن المؤلف في بعض النقاط التزم رؤية دولته الاستعمارية في تفسير الأحداث ، فضلا عن ذلك أعتمد البحث على عدد من الوثائق التي تخص حركة البعث العربي إلى جانب مصادر أخرى ذات أهمية تأريخية أعتمدها البحث ، والتي يمكن الاطلاع عليها من خلال قائمة المصادر .

وأخيرا ، لابد من تقديم الشكر والثناء الوافر لكافة الأساتذة الذين أعانوني في إنجاز البحث عن طريق إبداء الرأي والمشورة ، واذكر منهم الرفيق الاستاذ الدكتور الياس فرح ، الاستاذ باصيف عواد ، الدكتور الأستاذ جعفر عباس حميدي. كما أتقدم بالشكر الجزيل لكافة العاملين في أرشيف مدرسة الإعداد الحزبي ، ودار الكتب والوثائق ، والمكتبة المركزية جامعة بغداد ومكتبة الآداب ، لما بذلوه من جهد متميز من أجل توفير مصادر البحث ووثائقه .

داعيا الله عزوجل أن يوفق الجميع لما فيه خير العراق والأمة العربية .

حركة البعث العربي :

نشأ البعث في سورية في ظروف سياسية بالغة الدقة والتعقيد ، فقد تراجعت فرنسا عن موقفها في التصديق على معاهدة (١٩٣٦) ، وعادت تمارس سلطاتها الأنتدابية بشكل مباشر . وبدلاً من حصول سورية على مرسين قدمت فرنسا لواء الاسكندرونة التي تركيا في (حزيران ١٩٣٩) من أجل كسبها الى جانبها في حالة أندلاع الحرب بين الحلفاء ودول المحور[١] .

أدت سياسة فرنسا التعسفية بحق الشعب العربي في سورية الى أزدياد النقمة الشعبية ، وساد جو من الغليان الوطني لدى أوساط المثقفين ، وتضامن الشعب العربي في الأقطار العربية مع كفاح الشعب السوري من أجل نيل استقلاله وحريته والحفاظ على ترابه الوطني[٢] .

وفي خضم هذه الاحداث بدأت الخطوات الأولى لترجمة ما أحتوته كتابات الاستاذ ميشيل عفلق من مبادئ وأفكار وآراء الى حركة سياسية منظمة ويقول الأستاذ : "بدأ لنا بشكل واضح عام ١٩٣٨-١٩٣٩ بأن علينا ان نوجد حركة سياسية جديدة ، حيث كنا غير قادرين على التوافق مع الكتلة الوطنية ولا مع الحزب الشيوعي السوري ، كان الشعور لدينا قد تكوّن بضرورة عمل شيء . وقد كان لهذا الشعور أن أتخذ شكلاً فكرياً أو أدبياً قبل أن يتبلور في شكل حزب . أما تصور الحزب فقد بدأ عام ١٩٣٩"[٣] .

أطلق البعثيون الأوائل ، قبل المؤتمر التأسيسي الأول (٤-٦ نيسان ١٩٤٧) على تنظيم عبارة "حركة" للدلالة على أن البعث في مرحلة التبشير بمبادئه ، وقد ركز البعث في تلك المرحلة على الأمور السياسية ، فضلاً عن القضايا الفكرية والقومية والاخلاقية ثم الإنسانية ، بهدف خلق جيل عربي جديد[٤].

بدأ التبشير بأفكار ومبادئ البعث – على نطاق واسع – منذ العام ١٩٤٠ ، إذ آمنت بمنطلقاته فئة قليلة من الذين وجدوا في هذه الأفكار ضالتهم المنشودة ، لأنها عبرت بصدق وعمق عن تطلعاتهم ومشاعرهم الوطنية والقومية[٥] . وكان قد سبق الأعلان عن (حركة البعث العربي) قيام الاستاذين ميشيل عفلق وصلاح

الدين البيطار ، ومن خلال عملهما في التدريس في مدرسة التجهيز الأولى بدمشق، بتكوين "حلقات شعبية" ضمت مجموعة من الشباب المثقف أغلبهم من الطلبة ، الذين كانوا يحضرون في الندوات واللقاءات الاسبوعية التي يعقدها الأستاذان عفلق والبيطار بصورة منتظمة والتي أتخذت طابعاً سياسياً[٦] وفكرياً واضحاً ، ودارت مناقشاتها حول فكرة القومية العربية ودور الجيل الجديد ، وحاجة الأمة العربية الى تربية جيل يؤمن برسالتها ، ويثق بنفسه . وقد أتسعت الحلقات واستقطبت الكثير من الشباب الذين استهواهم ما يدور فيها من أحاديث قومية ووطنية فترددوا عليها[٧] ، وأرتبطوا مع أعضائها برابطة فكرية ذات أهداف واضحة ومع بداية عام ١٩٤١ ، أطلق على هذه الحلقات اسم (حركة الأحياء العربي) [٨] .

وبالإضافة الى تركيز البعثين الأوائل على الجوانب الفكرية ، والتبشير بالمبادئ التي آمنوا بها ، الا أنهم أدوا دوراً وطنياً بارزاً في مقاومة الأنتداب الفرنسي من خلال المشاركة الفعلية في التظاهرات والإضرابات والمناسبات الوطنية . وبالرغم من قلة عددهم ، فأنهم لفتوا الأنظار الى وجودهم ، ودعوتهم الجديدة ، والمرتبطة بالأستقلالية والمنطلقات القومية ، بالإضافة الى مناقشاتهم الفكرية المتصلة بالأخلاص والصدق ، والتفاني وحرارة الإيمان ، فقد خاضوا معارك كثيرة ضد الأفكار والمفاهيم المتعارضة مع أهدافهم ومبادئهم الساعية الى بعث القيم العربية الأصيلة[٩] .

تابعت "حركة البعث العربي" التطورات السياسية سواء في سورية أو الوطن العربي وأتخذت أزاءها المواقف القومية الصائبة . فعندما شهدت سورية في مطلع العام ١٩٤١ أزمة سياسية شديدة[١٠] بسبب سياسة التضييق السياسي والاقتصادي التي أتبعتها سلطات الأنتداب الفرنسي وأدت الى أنخفاض الليرة السورية ، ونقص في المواد التموينية . قاوم الشعب السوري هذه السياسة من خلال قيامه بإضراب شمل معظم المدن السورية أحتجاجا على تلك السياسة . وكان الإضراب مناسبة مهمة أستثمرها شباب البعث فأصدروا[١١] بيانات سياسية

بأسم "حركة الأحياء العربي" أستنكروا فيها تراجع شكري القوتلي الذي تولى قيادة العمل الوطني ، بسبب موقفه الداعي الى إنهاء الإضراب الشعبي ، وحاولوا من خلال الإضراب التعريف بأنفسهم للرأي العام والتعبير عن أسلوبهم الجديد في فهم العمل السياسي ، وهو الثبات على الموقف ، وعدم مهادنة الأستعمار أو التراجع أمامه[١٢] .

وأمام نكث السلطات الفرنسية لوعودها للحركة الوطنية ، بإجراء انتخابات حرة ، وألغاء الرقابة على الصحف ، ومسؤولياتها في قلة المواد الغذائية ، وفرض الضرائب المرهقة على السكان ، عادت التظاهرات والإضرابات الشبية لتطالب فرنسا بإنهاء أنتدابها ومنع سورية استقلالها[١٣] ، قد استمر البعث في انتقاد سياسة فرنسا ، ودعوة الشعب للنضال من أجل الأستقلال[١٤] .

لم يقتصر نشاط البعث على مقاومة سياسة الانتداب الفرنسي في سورية ، وأنما عبر عن إيمانه بوحدة النضال القومي ، ورفضه للتجزئة المصطنعة ، وتفاعله مع كفاح الشعب العربي في كل اقطاره ، وظهر هذا الموقف واضحا عندما أتخذ البعثيون الأوائل من خلال حركتهم "الأحياء العربي" قرارا بمساندة ودعم انتفاضة العراق في (نيسان – مايس ١٩٤١) القومية التحررية ضد الأستعمار البريطاني[١٥] ، ومساندة القضية الفلسطينية . وكانت الانتفاضة مناسبة قومية مهمة استثمرها البعثيون لتوضيح فكرتهم القومية ، وعمق إيمانهم بوحدة المصير العربي ، والوحدة العربية ، وكشف المواقف الاستقلالية والمتخاذلة للفئة الحاكمة[١٦] .

ولم يقتصر دور البعثيين الاوائل على توزيع بيانات التأييد ، بل قاموا بدور بارز ومتميز في تنظيم المتطوعين وأرسالهم الى العراق للمشاركة في الانتفاضة بهدف تحقيق وحدة النضال العربي عن طريق نضال الوحدة ، وعلى هذا الأساس قاموا بتشكيل "حركة نصرة العراق"[١٧] التي دعت في نداءاتها الموجهة الى أبناء الأمة العربية ، الى تقديم الدعم المادي والمعنوي لانتفاضة العراق وأستهلت ذلك بالقول :

((يا أيها العربي ، أعلم أن العراق في هذه الساعة يناضل من أجل أمنية كل العرب (الوحدة العربية) . وأعلم أن أنتصار العراق منوط بك وحدك ، فأعرف واجبك وقم به ، أيها العربي حيث كنت ، ضحّ برفاهك أياماً تضمن لأمتك السعادة أجيالاً ... الخ الضيافات ولا تقبلها من الآخرين ، وبقيمتها قدم لجرحى العراق العربي اضمدة وأدوية)) .

وجاء في أحدى بيانات حركة (نصرة العراق) القول :-

((بأن ثورة العراق غاية ووسيلة في وقت واحد . هي غاية لأن جهود الأمة العربية يجب أن تتجه الى تأمين نصرة العراق حتى يكون انتصاره تحقيقاً لوحدته القومية ، وهي وسيلة لأن على الأمة العربية ان تستغل هذا العمل الجزئي الذي يقوم به جزء من أجزائها لتوثيق الروابط القومية فيما بينها ، ولتجعل الفكرة القومية تظهر بشكلها العملي ، أي في نصرة العراق المناضل عن حرية العرب ووحدتهم)) [١٨] .

وضعت "حركة نصرة العراق" صيغة دعاء يتلوه اعضاؤها جاء فيه :

((اللهم انت الذي أردت أن يكون العرب أمة واحدة هادية تحمل الى العالم رسالتك ، تريد اليوم أن تعود اليهم وحدتهم وقوتهم ليؤدوا هذه الرسالة من جديد . اللهم هب لي قوة الإيمان وصفاء الفكر وصلابة الإرادة ، لاكون جندياً نافعاً فعالاً في الجهاد الذي يقوم به العراق من أجل وحدة العرب)) [١٩] .

وقد نشرت الصحف العراقية ، النداءات التي وجهتها اللجان المدرسية في دمشق لنصرة العراق . فكتبت جريدة "البلاد" تحت عنوان "تعبئة الأمة العربية لتكافح مع العراق – جهاد العراق رمز لحياة العرب واستقلالهم وتحررهم" ذكرت فيه : "العراق يحارب فالأمة العربية كلها في حالة حرب ، العراق يناضل في سبيل العروبة فليناضل جميع العرب في سبيل العراق ... الأمة العربية في حالة حرب فليكن كل عربي حيثما وجد جندياً مستعداً متفانياً حتى النصر لتحجب كل مشاغل العرب ولتؤجل كل واجباتهم ، ولتختصر حياتهم كلها في هدف واحد نصر العراق لأن فيه نصر الوحدة العربية ...)) [٢٠] .

ونشرت جريدتا الزمان والاتحاد البغداديتان النداءات فذكرتا قول الحركة :

((الأمة العربية في حالة حرب ، فليهجر العرب لباس السلم ورخاءه وضوضاء ويعدّوا للحرب ما تقتضيه من سلاح وخشونة ونظام ... لنقتصر على طعامنا ولنكتف بأبسط ولتخصص كل ما نقتصده لمساعدة العراق حتى ينتصر...))[٣١] .

ورغم ان الانتفاضة فشلت ، الا أنها الهبت الشعور القومي ، لما تركته من آثار عميقة في نفوس المناضلين العرب وبخاصة البعثيين منهم ، الذين عدّوا أخفاق الثورة ضربة قاضية لآمال الأمة العربية ، إذا لم يتدارك العرب تعديل اسلوبهم السياسي ذي الاتجاه القطري الأقليمي بأسلوب قومي شامل . وهكذا كان البعث بفكرته القومية بمثابة الرد الحاسم على أخفاق الثورة . فإذا كان المشاعر القومية قد دفعت بأتجاه الثورة في القطر العراقي عام ١٩٤١ "فأن الثورة ولدّت مشاعر قومية أيضاً ، وهي المشاعر التي تكثفت وتجمعت فأطلقت الى الوجود حزب البعث العربي في سورية ومنها انساب الى الأقطار العربية الأخرى"[٣٢] .

من جانب آخر ، ساعد فشل انتفاضة العراق عام ١٩٤١ ، على تمكين بريطانيا وقوات حكومة فرنسا الحرة برئاسة (ديفول) وبمؤازرة بعض العناصر المحلية من أحتلال سورية ولبنان وطرد القوات الفيشية ، ومنع الألمان من التسلل اليهما . وصرّح (كاترو) قائد القوات الفرنسية في بيان أعلنه بتأريخ (٨ حزيران) من العام نفسه بأن فرنسا سوف تعمل على أنهاء انتدابها وتمنح الأستقلال لكلا البلدين ، وتعقد معاهدة تكفل من خلالها استقلالها وتوضح العلاقات المتبادلة بينهما[٣٣]. كما أبدت بريطانيا استعدادها لضمان ما ورد في هذا التصريح ، وتعهدت بالأعتراف بأستقلال سورية ولبنان ، الا أن فرنسا سرعان ما تنصلت من تعهداتها ، وعمدت على أستبدال الاستقلال الناجز باستقلال صوري ، وأقدمت على تعيين (تاج الدين الحسيني) رئيساً للجمهورية السورية ، وعينت (الفريد نقاش) رئيساً للجمهورية اللبنانية في بداية أيلول (١٩٤١) ، وهما من الموالين لسياستها[٣٤] .

جوبهت السياسة الفرنسية بمعارضة الحركة الوطنية في سورية ولبنان التي نظمت المظاهرات والإضرابات لشجب هذه السياسة ، الأمر الذي دفع فرنسا الى اعلان أستقلال سورية وقيام الجمهورية في (٢٧ أيلول ١٩٤١) بهدف أحتواء الحركة الوطنية[٢٥] وقطع الطريق أمام محاولات بريطانيا للسيطرة على المنطقة ، وقد شعر الوطنيون في سورية بشكلية هذا الأستقلال فواصلوا مطالبتهم بتحقيق الاستقلال الناجز[٢٦] .

وصعدت حركة البعث العربي نشاطها السياسي والفكري خلال النصف الأول من عام ١٩٤٢ ، بسبب رضوخ الفئة الحاكمة لمطالب الفرنسيين . فقد زادت الاتصالات واللقاءات بالطلبة توضيح الأفكار والمرتكزات الإيديولوجية للحركة الفتية[٢٧] ، ومقاومتها لكل المحاولات الى افراغ الاستقلال من محتواه الوطني ، وقدم قادة الحركة الأستاذان ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار استقالتهما في (تشرين أول ١٩٤٢) نتيجة للخلافات مع وزارة المعارف على السياسة التربوية ، وأحتجاجاً على سياسة التعليم برمتها لأنها سياسة استعمارية[٢٨] بعيدة عن الطموح القومي ، الأمر الذي دفع طلاب الأستاذ عفلق على أصدار بيان في (٢٤ تشرين أول ١٩٤٢) ، أوضحوا من خلال للرأي العام حقيقة ما يجري في السياسة التعليمية المتبعة في أمور لا تمت الى التعليم النزيه بصلة الأمر الذي دفع الأستاذان الى الاستقالة التي لم تكن عملاً مرتجلا "بل نتيجة لمواقف سابقة متسلسلة دافعها الغيرة على النشء ومستقبل الأمة العربية" وأنتقد البيان اسلوب وزارة المعارف في تعاملها غير المتزن مع مختلف القضايا التي تمس التعليم بالقول : "والوزارة التي تنام ملئ جفونها عن شتى المخالفات شريطة أن تبقى مكتومة لا تثير ضجة أو تخلق مشكلاً ، تستيقظ اليوم لتعاقب من أخلصوا لعملهم وتفادوا فيه وكانوا أبداً حرباً على الأجنبي وعلى خدمه ، أمناء لواجبهم المسلكي والقومي ، مترفعين عما يجنى عادة من وراء الخدمة القومية من ثمار سهلة تغري ضعاف النفوس ، ككسب مال أو شرة ، راضين بالعزلة والعيش البسيط"[٢٩] وبعد استقالتهما تفرّغ الأستاذان عفلق والبيطار للعمل السياسي الحزبي ، وهو أمر

يحدث لأول مرة في تأريخ الحركة ، وقد جاء تفرغهما في صالح الحركة ، تماماً لأنه زاد من نشاطه في الفترة اللاحقة[٣٠] .

شكل العام ١٩٤٢ نقطة تحول حاسمة لا في التأريخ السياسي للقطر السوري فحسب ، وأنما في حياة البعث ، إذ ظهرت في هذا العام "حركة البعث العربي" لأول مرة لا كحزب سياسي فقط ، وأنما كممثلة لايديولوجية أهدافها الأساسية الوحدة والحرية والاشتراكية ، وشعارها "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"[٣١] .

وأمام الضغط السياسي الشعبي وتطور الظروف الدولية اضطرت السلطات الفرنسية في (٢٥ آذار من العام نفسه) [٣٢] ، لأجراء انتخابات نيابية وإعادة الحياة السياسية والدستورية للقطر السوري ، تمهيداً لانتخاب قيادة وطنية لمنصب رئاسة الجمهورية . وحدد يوم (٧ تموز) موعداً لأجراء الانتخابات[٣٣] . وكانت المسائل الملحة على صعيد القطر السوري تتمثل بما يلي :-

١ . تحقيق الاستقلال التام .

٢ . اقامة حياة سياسية ديمقراطية تمنح الجماهير قدراً أكبر من التحرك لأستلام زمام المبادرة لتصفية الاحتلال الاجنبي ، وتحقيق مطلب الاستقلال الوطني[٣٤].

استثمرت (حركة البعث هذه المناسبة ، فوافقت على الاشتراك في هذه الانتخابات ، ورشح الأستاذ ميشيل عفلق نفسه ممثلاً للحركة بهدف الأفادة من فرصة الأنتخابات وأتخاذها وسيلة لطرح الأفكار والمبادئ التي أمنت بها الحركة الفتية على النطاق الشعبي[٣٥] ، وللتعريف بالاتجاهات القومية والسياسية للحركة ، وليس من أجل الفوز بالأنتخابات والوصول الى البرلمان والحقائب الوزارية . وقد أشار بيان طلاب الأستاذ عفلق الى هذه المسألة بالقول على "أن المجلس هو أشد ما يكون حاجة في هذا الطرف العصيب الى الأستاذ ميشيل عفلق ليبقى دوماً فيه يناضل ويراقب الأخطاء المنتظر وقوعها .

وليس المجلس بحاجة الى من سيترك كرسي النيابة منذ الشهر الأول ليتربع على كرسي الوزارة" .

أعلنت (**حركة البعث العربي**) بيانها الانتخابي الأول ، الذي يعد محاولة لبلورة الاتجاهات الأساسية التي تمخضت عنها إيديولوجيتها[٣٦] في القول : ((ندخل الانتخابات لا بأسم طائفة ولا مدنية ، ولا مصالح قريبة ، أو ظروف سياسية عاجلة بل بأسم فلسفة قومية نريد أن تكون أفصاحاً صادقاً عن الحياة العربية في حقيقتها الخالدة .

- نمثل الروح العربية ضد الشيوعية المادية .
- نمثل التأريخ العربي الحي ضد الرجعية الميتة والتقدم المصطنع .
- نمثل القومية التامة المعبرة عن حاصل الشخصية ضد القومية النفطية التي لا تتعدى اللسان ويناقضها مجموع السلوك .
- نمثل رسالة العروبة ضد حرفة السياسة .
- نمثل الجيل العربي الجديد[٣٧] .

وركز البيان على الأهداف السياسية والأصول الفكرية لنظرية البعث وأبعادها القومية والديمقراطية ، وسبل التغيير الانقلابي في حياة المجتمع العربي بما فيه القطر السوري ، بالإضافة الى فضح الفئات الحاكمة وسياستها المتخاذلة وأرتباطاتها الرجعية ، وتفشي حالة الرشوة والفساد والمحسوبية . ولم يتضمن البيان وعوداً بتحقيق المكاسب للناخبين[٣٨] .

أما في لبنان ، فقد عمدت السلطات الفرنسية في (١٠ تشرين الثاني ١٩٤٢) على الغاء تعديل الدستور ، الذي تضمن الغاء الأنتداب ، وحق لبنان في السيادة الوطنية والذي وافق عليه المجلس النيابي المنتخب ، وأقدمت على أعتقال اعفاء الحكومة الوطنية ومعظم وزرائها[٣٩] .

وأسندت رشاسة الدولة الى أميل اده الموالي للسياسة الفرنسية[٤٠] .

وأمام هذه التطورات اصدرت "حركة البعث العربي" ومن منطلق وحدة النضال العربي ، بياناً أوضحت فيه : رفضها لهذه الإجراءات التعسفية بحق

الشعب اللبناني ، وأعتبار قضية لبنان قضية سورية وعربيـــة فـــي آن واحـــد ، وشجبت الحركة اسلوب الحكومة السورية ، وعدم مصداقيتها في مساندة الشـــعب اللبناني ، ومطالبتها "وضـــع حـــد لسياســـة الـــتريث والمفاوضـــة وتمثيـــل دور الوسيط"[٤١].

واصلت (حركة البعث العربي) خلال عامي (١٩٤٤-١٩٤٥) نضالها ضد الفئة الحاكمة الممثلة للأقطاع والبرجوازية التجارية ، وضد كل المتعـــاونين مـــع القوى الاستعمارية المسيطرة على المنطقة العربية ، وتمثلـــت مطـــالب الحركـــة بالنقاط التالية :-

١ - تحقيق الاستقلال التام ضمن اطار الوحدة العربية .

٢ - اقامة حياة سياسية تسودها الدميقراطية ، وتتمتع الجماهير الشعبية من خلالها بحرية التعبير عن آرائها .

٣ - استكمال تحرير الجيش العربي السوري ونبذ علاقته بالمستعمرين وتحويلـــه الى جيش وطني .

٤ - تحديد سلطات رئيس الجمهورية (شكري القوتلي) وفضح استقلاله للســـلطة بشكل تجاوز الحدود الدستورية الممنوحة له ، الأمر الذي جعل حكمه يتصف بدكتاتورية سافرة .

٥ - النضال الجماهيري ضد الاستعمار الفرنسي في كل من ســـورية ولبنـــان ، مقرناً بمساندة النضال الوطني لجميع الأقطار العربيـــة مـــن أجـــل تحقيـــق استقلالها وسيادتها الوطنية .

٦ - الكشف المستمر للمشاريع التي تخطط لها الدوائر الاستعمارية ، بهدف التآمر على الأقطار العربية ، والتي تشترك فيها فرنسا وبريطانيا بالإضافـــة الـــى الولايات المتحدة الأمريكية ، التي فضح البعث سياستها الملتوية الرامية الـــى تشجيع الهجرة الصهيونية الى فلسطين العربية[٤٢] .

وأدانت (حركة البعث العربي) قيام شكري القوتلي بزيـــارة القـــاهرة فـــي (شباط ١٩٤٥) واجتماعه بروزفلت (رئيس الولايات المتحدة الامريكية) وتشرشـــل

(رئيس وزراء بريطانيا) ثم ذهابه الى السعودية ، وأشارت الى خطورة هذه التحركات على الاستقلال الوطني ، وبخاصة وأن القوتلي عاد وهو يحصل النقاط التالية :-

((١-اتفاقاً سرياً بينه وبين ابن سعود ، بالدرجة الأولى ، وبينه وبين فاروق بالدرجة الثانية .

٢ - نصيحة من تشرشل بعقد معاهدة مع فرنسا ...)) .

وأصدرت الحركة بياناً أوضحت فيه أن ((أول أمر يجب التنبيه اليه هو أن القوتلي كان قد سلك طريق الدكتاتورية المقنعة ...)) مما يستوجب تحطيم ضمنية القوتلي التي مهدت للفئة الحاكمة ((التمادي في خرق الدستور وتعطيل الحريات الديمقراطية ...)) .

وناقشت خطاب القوتلي في البرلمان والذي ألمح فيه الى ((أن عقد المعاهدات دليل على الأستقلال السياسي)) . وأصدرت بياناً بتوقيع الأستاذ صلاح الدين البيطار تناول الأمور التالية :-

((أ - الوحدة العربية : أفاد من المناسبة ليبين أخطار العقلية الاقليمية ، وليبين نزوع الشعب العميق للوحدة العربية وجهاده الطويل في سبيلها ، وأن كل أستقلال اقليمي يكون خدعة ويكون فارغاً من المحتوى إذا لم يوصل الى الوحدة .

ب - رفض فكرة المعاهدة بين سورية ولبنان .

ج - وضع الحدود الدستورية لرئيس الجمهورية[٤٣] .

دفع صدور البيان ، الفئة الحاكمة الى نفي الأستاذ صلاح الدين البيطار ، الى قرية الميادين ، أقصى الشمال الشرقي في سورية ، الأمر الذي دفع جماهير البعث الى تنظيم مظاهرة حاشدة احتجاجاً على هذا الأجراء التعسفي[٤٤] ، شارك فيها الأستاذ ميشيل عفلق الذي ذهب الى حمى حيث أصدر بعض البيانات التي أدت الى أرساله مخفوراً الى دمشق[٤٥] . ففي بيانه بعنوان "تحذر الفئة الحاكمة من الاستمرار في سياستها" في ٤ آذار ١٩٤٥ ، حذر فيه الأستاذ ميشيل عفلق عقلية

الفئة الحاكمة ، وحذرها من مغبة الاستمرار في سياستها الأنتهازية ، وأشار الى "أن الشعب لم يجد أمامه القيادة التي توحي اليه الثقة بتجردها وكفاءتها ، والتي تعهد له السبل ، وتزيل من طريقه العقبات ، وتنظمه على شكل يستطيع معه أن يظهر كل ما فيه من قوى وممكنات" . وطالب البيان الشعب ان يعي حقيقة الأسلوب الأنتهازي الذي تتبعه الفئة الحاكمة التي تدعي زيفاً "انها مستمرة في النضال أمينة على أهدافه ، وهي تجبر الشعب كل يوم على قبول التساهل والأعتدال" . وأوضح البيان فشل السياسة التي تتبعها الفئة الحاكمة بالقول : "في أستطاعة الحكومة أن تسجن وتنفي وتضطهد فرداً ، أو أفراداً ، ولكن ما عساها تفعل بجيل جديد بكامله . يقدّس الحق ويحن الى البطولة ..."[٤٦] .

وفي بيانه الثاني بعنوان "لقد تنفس الشعب الصمداء" في يوم ٢٢ آذار من العام نفسه ، كشف فيه الأستاذ ميشيل عفلق المغالطات التي دأب رجال السياسة على أتباعها و ((لم يحبسوا لوعي الشعب حساباً ، ولم يفطنوا أن سنين قد مرت على زمن النضال الوطني ، زادت الشعب قوة وخبرة وصلابة ، وزادتهم ضعفاً واستسلاماً للأهواء والعبودية للمنافع ...)) وناشد البيان شباب البعث العربي ، حيثما كانوا بالقول : "عليكم أن تختتموا مرحلة الصراع العنيف بين الخيانة وبين الوطنية الضعيفة ، لتبدأوا صراعاً جديداً عنيفاً بينها وبين وطنية من نوع جديد يجتمع فيها الأخلاص مع الفكر النير ، والتضحية مع النزاهة والتجرد ، والسياسة مع الصدق والاستقامة والعفة" . وحيا البيان نضال شباب البعث العربي وعدّ ما سيتمخض عنه من نتائج تحولاً تأريخياً في حياة البلاد ، وبداية لتشكيل ((قيادة قومية صحيحة ، تعيد للنضال قدسيته ومعناه ، وتسد فراغاً كان يهدد بناء الأمة بالأنهيار))[٤٧] .

وعند تأسيس الجامعة العربية وظهورها الى الوجود في (٢٢ آذار ١٩٤٥) وهي تحمل بذور ضعفها ، الأمر الذي أدى الى تبلور سياسة المحاور – بشكل واضح – في الساحة العربية ، محور (القاهرة – الرياض – سورية ولبنان) يقابله محور (بغداد – عمان) ، وبذلك ولدت جامعة الدول العربية بمحورين سياسيين

لعبا دوراً مهماً وخطيراً في أضعاف التضامن العربي وتوتر العلاقات بين الدول العربية منذ عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٨[٤٨] .

أصدر "البعث العربي" أولى نشراته الداخلية في (١٢ نيسان ١٩٤٥) الموجهة لكافة أعضائها بعنوان "رأينا في ميثاق الجامعة" كشف من خلالها الأسس الواهية الذي قام عليها ميثاقها ، وحذرت النشرة الشعب العربي من الأنخداع بها لأنها ليست خطوة على طريق الوحدة ، فقد أقر ميثاقها التجزئة التي فرضها الأستعمار ، وأنهلت أقطار المغرب العربي ، وتجاهلت قضية فلسطين ، وتناست أغتصاب لواء الأسكندرونة[٤٩] . ودعا البعث في (١٤ كانون الأول) من العام نفسه ، الى تأسيس جامعة عربية شعبية ، تعبر بصدق وأمانة عن مصالح الشعب العربي في سبيل تحقيق أهدافه القومية التي ناضل من أجلها بعيداً عن "مساوئ السياسة الإقليمية وأنانية الحكومات والأشخاص ... وهكذا تكون الجامعة الشعبية سنداً ونصيراً للجامعة الرسمية ، حيث تسلك هذه طريق الصواب ويعوزها النصير، ومعارضاً ومقوماً لها حيث يعوزها الأرشاد والتقويم[٥٠] .

وتحدياً للمشاعر الوطنية والقومية للشعب العربي في سورية ولبنان ، عمدت السلطات الفرنسية بعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية الى تثبيت أقدامها ، وأتباع سياسة المماطلة والتسويف في تحقيق رغبات الحركة الوطنية ، ورفضت تسليم الجيش ، وإعطاء الصلاحيات الكاملة للسلطة الوطنية[٥١] . وأقدمت في بداية (مايس ١٩٤٥) على تعزيز قواتها العسكرية ، وأنزلت قوات أضافية في ميناء بيروت دون أخذ رأي الحكومتين السورية واللبنانية ، وبدأت بالضغط عليهما لكي تعقد معهما معاهدة تضمن بموجبها تسهيلات لإقامة القواعد العسكرية ، وللحصول على المركز الاقتصادي والثقافي المتميز[٥٢] .

رفضت حكومتا سورية ولبنان ، الدخول في المفاوضة مع الجانب الفرنسي وحملتا الحكومة الفرنسية مسؤولية جميع ما ينجم عن هذا الموقف من تبعات ، وقررتا توحيد جهودهما للدفاع عن سيادة البلدين واستقلالهما[٥٣] . بينما أضربت دمشق اضراباً عاماً وشاملاً يومي (١٩/ ٢٠ مايو) وطافت المظاهرات الشعبية في

الشوارع ، وهي تهتف للاستقلال الناجز والسيادة الوطنية وأصطدام المتظاهرون بالقوات الفرنسية أمام مبنى قيادتها ، وفي اليوم التالي طالب المتظاهرون الحكومة تزويدهم بالسلاح للدفاع عن الوطن ضد ما يتهدده[٥٤] من الأخطار .

وأزاء الموقف الصلب الذي وقفه الشعب العربي في سورية ، وأستعداده للمقاومة والنضال في سبيل أهدافه الوطنية ، شنت السلطات الفرنسية في (٢٩ مايس ١٩٤٥) عدواناً غاشماً على سورية ، وأمطرت دمشق وغيرها من المدن السورية بوابل من قنابل المدفعية والطائرات[٥٥] . وحاصرت المجلس النيابي ، ونهبت الدور والمحلات التجارية ، وقد انتهى العدوان في (٣١ آيار) وبلغ عدد ضحاياه (٦١٦) شهيداً فيما بلغ عدد الجرحى (٢٠٧٢) جريحاً[٥٦] .

أدى حزب البعث العربي دوره الوطني في مقاومة العدوان الفرنسي ، وتعبئة الجماهير الشعبية للمقاومة وأصدر بياناً في (١٦ مايو ١٩٤٥) دعا فيه الفئة الحاكمة الى أتخاذ موقف أكثر حزماً وصلابة ، وحذرها من التفاوض مع السلطات الفرنسية لعقد المعاهدة ، أو أي تحالف يحقق للمستعمرين أطماعهم في البلاد ، وأختتم البيان بالقول : "بأن الأستقلال يؤخذ ولا يعطى"[٥٧] . ودعا الحزب الى القيام بأضطراب شامل ، عند قدوم ممثل الحكومة الفرنسية الجديد الى سورية ، لكي يظهر الشعب رفضه لأية مساومة لا تحقق أمانيه الوطنية والقومية[٥٨] . وفي الوقت نفسه أصدر الحزب[٥٩] في (٢٠ مايس ١٩٤٥) بياناً بعنوان "في سبيل الجهاد الوطني" دعا فيه الى مهادنة الحكومة ما دامت تخوض نضالاً وطنياً ضد العدوان الأجنبي ، وطالب بتوحيد كل القوى الوطنية لمواجهة العدوان الفرنسي الغادر ، من أجل تحرير الأرض السورية العربية من آخر جندي فرنسي ، وقام الحزب بتنظيم فرق الجهاد الوطني "للمقاومة المسلحة والأسعاف ، والمساهمة في الحفاظ على الأمن من (أجل الدفاع عن أستقلال سورية وحريتها) . وأستأجر الحزب للقيام بهذا العمل مكتباً انخرط فيه فئات الشباب[٦٠] . ونتيجة لهذا الموقف أتسعت قاعدة الحزب الجماهيرية ، بعد أن تأكد للجماهير مصداقية طروحاته

وسلامة تحليله للموقف ، مما ساعد على نزعة انتشاره – بالإضافة الى دمشق – الى مختلف المدن السورية مثل حمص وحماة وحلب واللاذقية[٦١] .

وبعد انتهاء عدوان (مايس ١٩٤٥) عاد الحزب لمعارضة الفئة الحاكمة لتخاذلها في قضية تشكيل الجيش الوطني وتسليحه ، ولاستمرارها في أسلوب المفاوضة لتحقيق جلاء الفرنسيين عن سورية ، ولضعف اهتمامها بالقضايا العربية ولاستهتارها بالدستور والحريات العامة . وأصدر حزب البعث العربي بياناً في (٩ حزيران ١٩٤٥) ، حدد فيه مطالبه السياسية بالأمور الآتية :-

"١ . تشكيل حكومة قومية تطبق الدستور بالمعنى الصحيح ، وتقلع عن الاستئثار والاستبداد بالرأي ، وأخفاء الحقائق عن الشعب ، وتنهج في السياسة خطة واضحة مستقيمة لا تقلب فيها ولا تناقض .

٢ . ان تتبنى هذه الحكومة ، لمعالجة الظرف الحاضر ، برنامجاً تتلخص خطوطه الرئيسية في ما يلي :-

أ – رفض التعاقد مع فرنسا بأي شكل كان . واجلاء قواها جلاءً تاماً عاجلاً عن سوريا ولبنان ، وأغلاق الباب نهائياً امام كل صله للفرنسيين بهذه البلاد ، سياسية كانت أم ثقافية أم اقتصادية وأتخاذ الخطوات اللازمة ، التي تكفل تنفيذ تعهد البريطانيين بسحب قواتهم من سورية ولبنان .

ب – صيانة استقلال سوريا التام ، وتعبئة جهود الشعب وتنظيم مقاومته والشروع حالاً بتشكيل الجيش وتسليحه استعدادا لمنع كل عودة ممكنة للاعتداء الفرنسي ، ولمجابهة قرارات دولية قد تنتقص من هذا الاستقلال .

ج –اعتبار قضية سوريا ولبنان قضية واحدة تجاه الخطر الفرنسي .

د – انتهاج سياسة عربية فعالة .

هـ- المطالبة بمحاكمة المسؤولين الفرنسيين عن الفاجعة الأخيرة والمطالبة بالتعويض عن الخسائر ، وذلك بعد تجميد ومصادرة الأموال الفرنسية في البلاد العربية كافة .

و - تطهير البلاد وجهاز الحكومة من جميع الخونة والانهزاميين وأنصار التعاون مع الأجنبي ، ومحاكمة المجرمين من قواد الجيش السوري وجنوده ، ومكافآت الذين لبوا نداء وطنهم ..."[٦٢] .

أدى بروز الحزب في سياسة العمل السياسي الى تقديم طلب ، الى وزارة الداخلية السورية في (١٠ تموز ١٩٤٥) يعلمها فيه بتأليف الحزب ، ويطلب الترخيص له بممارسة نشاطه السياسي بصورة علنية . وجاء في نص الطلب "..... نشأت حركة البعث العربي منذ عدة سنوات ، ومضت دون كلل تبشر بفكرتها وتدعو الشباب في جميع الأقطار العربية الى أعتناقها وتنفيذ تعاليمها . وقد وصلت اليوم الى نقطة تستطيع معها أن تخطو بقوة وأطمئنان الخطوة الأنشائية التنظيمية ، وتنقلب حزباً قوياً يصب فيه كل عربي مؤمن ما عنده من خير وعروبة في سبيل بعث أمته ..." وقد وقّع الكتاب من قبل الهيئة التنفيذية المؤلفة من السادة : ميشيل عفلق ، صلاح الدين البيطار ، مدحت البيطار[٦٣]. ثم بادر الحزب الى فتح أول مكتب له في حي القنوات بدمشق دون أن ينتظر الترخيص الرسمي[٦٤] .

غير أن النزعة الشخصية التي طفت على الفئة الحاكمة ، حالت دون الحصول على الموافقة . الأمر الذي دفع الهيئة التنفيذية للحزب الى قيادة النضال من خلال عقد مؤتمر تأسيسي تنبثق عنه قيادة شرعية لمواصلة النضال وطنياً وقومياً . وهذا ما قامت به اللجنة التحضيرية التي تولت مهمة الأعداد لعقد المؤتمر التأسيسي .

ومن منطلق ايمانه بالقومية العربية ، وبوحدة النضال العربي وبأن الأرض العربية واحدة لا يمكن تجزئتها ، أو سلب جزء من أجزاءها ، جاء أهتمام حزب البعث العربي الاشتراكي - منذ مرحلته التأسيسية - بالقضية الفلسطينية التي

شكلت بالنسبة للحزب القضية المركزية في النضال العربي . باعتبارها النقطة التي تصب فيها جميع مؤامرات الاستعمار والرجعية العربية ، والتي ينطلق منها نضال الحزب والجماهير العربية ضد الاستعمار والرجعية وعقلية التجزئة والتخلف .

فمنذ بداية الأربعينيات ، لم يدع الحزب مناسبة الا وحذر الشعب العربي ، الى ما يقوم به الأستعمار تجاه عرب فلسطين ، والى الخطر الذي ستخلفه حملات الاستيطان الصهيونية ، وأقتران ذلك الخطر بمشاريع أستعمارية لاحقة ، في الوقت الذي كانت فيه الفئات الحاكمة قد تجاهلت هذا الخطر ، وأنساقت الى التحالف بشكل مباشر أو غير مباشر مع الاستعمار البريطاني او الفرنسي[٦٥] وحتى الأميركي .

وشكل عام ١٩٤٤ بروز الأهتمام بالقضية الفلسطينية ، بسبب أزدياد حدة التآمر الاستعماري على فلسطين ، ودخول أطراف جديدة في تنفيذ مخططه . فقد أحتجت حركة "البعث العربي" من خلال مذكرة رفعتها الى المعتمد السياسي الأمريكي في سوريا في (١٠ آب) من العام نفسه على القرار الذي أتخذه الحزبان الديمقراطي والجمهوري والداعي الى فتح باب فلسطين للهجرة الصهيونية ، وأتخاذها وطناً قومياً لليهود ، وعدته عدواناً صارخاً من قبل الحكومة الأمريكية ضد الحقوق العربية ، موضحة أن حق "العرب في فلسطين هو حق طبيعي تأريخي ..." ، وبدأت الحركة خشيتها "أن تقوم أمريكا على الأعتداء على حق العرب الصريح بتأثير دعاية الرأسمالية الصهيونية وتضليلها وهي تحسب أنها تناصر الحق وتخدم السلم ..." وأختتمت "حركة البعث العربي" مذكرتها بالقول : بأن العرب والمسلمين يدركون "أن السلم لن يتوطد بالنسبة إليهم الا متى استردوا تلك الحقوق بكاملها"[٦٦] .

كما وجهت الحركة رسالة في (٢٣ آذار ١٩٤٥) الى الوزير المفوض لسفارة الولايات المتحدة في سورية في (٢٣ آذار ١٩٤٥) ، أستنكرت فيها التصريح الذي أدلى به روزفلت (رئيس الولايات المتحدة) ، وأوضح فيه عزمه

على فتح أبواب فلسطين للهجرة الصهيونية ، وعدته إجراءاً مناقصاً لمبادئ السلام والحرية ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، التي تشدق بها الحلفاء في بداية الحرب ، ونددت الحركة بالموقف الأمريكي بالتأكيد على أن "العرب الذين يعتبرون كل الأقطار العربية وحدة لا تتجزأ يرون أن من واجبهم أن يعلنوا عدم اعترافهم بكل عقد أو اتفاق يجيز استثمار أراضيهم من قبل أية دولة أجنبية..."[٦٧].

وأصدر "حزب البعث العربي" بياناً بتأريخ (١٤ كانون الأول ١٩٤٥) عن (مشاكل العرب السياسية) . أدانت فيه وعد بلفور ، والهجرة الصهيونية ، ونددت بمواقف بريطانيا والولايات المتحدة من قضية فلسطين ، وطالب بحق عرب فلسطين في الحرية والأستقلال ، وأعتبر الصهيونية "حركة عدوانية باغية" لا تشكل حلاً صحيحاً لمشكلة اليهود في العالم[٦٨] .

وأصدر "حزب البعث العربي" بياناً في (٢ مايس ١٩٤٦) دعا فيه جماهير الحزب الى الأضراب العام ، استنكاراً للقرار الجائر الذي أتخذته "اللجنة الأنكلو – الأمريكية "للتحقيق في القضية الفلسطينية والقاضي بالسماح لـ (١٠٠) الف صهيوني بالهجرة الى فلسطين ، ورفض أقامة حكومة عربية فيها[٦٩] . ورفع الحزب خلال الاضراب شعار "الكفاح من أجل فلسطين هو أول برهان على استقلال سوريا"[٧٠] . وقد نجح الأضراب في تحقيق أهدافه في تنبيه الرأي العام الى خطورة ما يخطط ضد القضية الفلسطينية .

أستمر "حزب البعث العربي" في اتخاذ المواقف القومية لنصرة قضايا النضال العربي في مشرق الوطن العربي ومغربه ، فعندما أصرت بريطانيا على بقاء قواتها في مصر ، ورفضت الجلاء عن أراضيها ، وأنكرت الحقوق الوطنية للشعب العربي في مصر بالأستقلال والحرية ، أصدر الحزب بياناً في (٤ آذار ١٩٤٦) أيد فيه مصر العربية في نضالها من أجل نيل أستقلالها ، وطالبت بجلاء القوات البريطانية عن مصر وسائر الأقطار العربية[٧١] وأحتج الحزب في برقيات مؤرخة في (٦ نيسان ١٩٤٦) أرسلها الى أمين الجامعة العربية ، والحكومات

العربية ، على المعاهدة الأردنية – البريطانية لكونها تتعارض مع مصالح الأمة العربية بإبقائها القوات البريطانية في شرق الأردن ، الأمر الذي يخرم هذا القطر العربي من استقلاله . وأشار الى خطورة بقاء هذه القوات على كافة الأقطار العربية المحيطة بهذا القطر والساعية لتحقيق استقلالها والسير نحو الوحدة . إضافة – الى ذلك – فأن هذه المعاهدة تحقق للصهيونية أغراضها في فلسطين وشجب الحزب مواقف الحكام العرب في تهنئتهم للحكومة الأردنية بعقدها لهذه المعاهدة ، وعدّه اقراراً بما تضمنته[٧٢] .

وشدت الأحداث الرامية التي شهدتها أقطار المغرب العربي "حزب البعث العربي" فعندما ارتكبت فرنسا جرائمها بحق أبناء الشعب العربي هناك رفع الحزب برقية في (٢٤ أيلول ١٩٤٦) الى جامعة الدول العربية ، أحتج فيها على جرائم فرنسا ، وطالبها بالتدخل لوضع حد لوقف العدوان الفرنسي ، والعمل الجاد على نصرة عرب المغرب في جهادهم المقدس من أجل الاستقلال ، والا فلا معنى للجامعة العربية إذا لم تمثل إرادة العرب في الوحدة التامة والاستقلال الشامل"[٧٣].

وعلى صعيد التطورات السياسية الداخلية في سورية ، خاض حزب البعث العربي في العام ١٩٤٦ معركة دستورية ضد الفئة الحاكمة ، بهدف المحافظة على الدستور "نصاً وروحاً" وتعزيز الفصل بين السلطات الثلاث ، وتعميق الحياة الدميقراطية ، وتغيير قانون الانتخابات الذي صدر في ظل الانتداب الفرنسي ، والذي نص على أجراء الأنتخابات على درجتين ، وتمسكت به الفئات الحاكمة المتعاقبة[٧٤] .

وأنتقد الحزب اصدار حكومة سعد الله الجابري في بداية (حزيران ١٩٤٦) المرسوم التشريعي رقم (٥٠) الذي منح وزير الداخلية سلطات قمعية واسعة لمراقبة الصحف ، وألغاء امتيازاتها ، وغلق مطابعها ، ومنع الاجتماعات العامة ، وحل ومنع الجمعيات والأحزاب وغيرها من الأجراءات[٧٥] .

واجه الحزب هذه الأجراءات ذات الطابع التعسفي للفئة الحاكمة بأصدار البيانات ونشر المقالات التي تبين مخاطرها ، ولم يكتف بذلك بل سعى الى عقد